الدُّ عاء.. عبادة خالصة وحاجة فطرية



◄الد "ُعاء حاجة فطرية عند الإنسان، فردا ً وجماعة، هو جزء ٌ من الحياة، ومن دورتها، فنحن ندعو ا العز وجل قبي الليل أو النهار، وفي أي يساعة نريد، ولا نحتاج إلى مقد مات أو تمهيد ملك يكفي أن ترفع يديك وتنصب وجهك ثم تفتح الخط مع المولى تعالى، هو هذا الحبل الممدود بين ا وعباده، والذي لا ينقطع أبدا ً. والد "ُعاء دائما ً له هدف وغاية، ولا فرق بين حاجة مغيرة تطلبها، وترجو أن يحق يعق أو تتضر ع، أو تبتهل وتتوس ل، جهرا ً أو سر اا الله، أو حاجة كبيرة. عندما ترفع يديك وتدعو أو تتضر ع، أو تبتهل وتتوس ل، جهرا ً أو سر النظر معه حديثا ً، وتخاطبه، بصرف النظر عما حئت تطلب.

إن "ا□ لم يضع شروطا ً مسبقة ً ومواصفات محد ّدة، أو دفتر شروط للد ّ ُعاء، فالباب مفتوح ومتاح للجميع، فالمنافق بإمكانه أن يدعو كما يفعل المؤمن، والحريص أو البخيل يسأل ا□ كما يسأله الفقير والمسكين، وقد يطمع م َن هو على باطل ٍ في زيادة منافعه، في ُدلي بدلوه في مواسم الد ّ ُعاء.

وحتى على صعيد اللغة والموقف، لا ضرورة لأن يكون الدّ ُعاء بالفصحى أو فيه بلاغة وسجع أو شعر. لقد فتح ا□ باب الدّ ُعاء لنا من دون أيّ ِ تكلفة ٍ قد نحسبها عندما نخاطب بعضنا بعضا ً، أو عندما نطلب حاجة ً من أحدهم.. يمكنك أن تدعو سرّااً أو جهرا ً، في الصلاة أو في السيّارة، وبكلّ ما يخطر في بالك.

في شهر رمضان، يطيب الدّ ُعاء ويكثر، فقد ورد في تراثنا أدعية نهارية وأُخرى لليل، كدعاء الافتتاح ودعاء السّ َحر، وأدعية ليلة القدر وإلى ما هنالك. وهذا كلّه ممّا نسأل ا□ أن يتقبّله من المؤمنين والمؤمنات. ولكن، ما نريد أن نلفت إليه، أنّ دائرة الدّ ُعاء ومخاطبة الباري أوسع ممّا ورد من الأدعية في مفاتيح الجنان أو الصحيفة السجادية، مع اعتزازنا بما ورد فيها من أدعية ٍ تشكّل زادا ً معرفيا ً راقيا ً، إضافة ً إلى الزاد الروحي المنقول عن رسول ا□ (ص) والأئمّة (ع)، لأنّ العلاقة والتخاطب والمناجاة بين المخلوق وخالقه لا ت ُح َدّ بحدود، هي بعدد أنفاس الخلائق. ونحن في هذا

الإطار، عندما نقرأ هذه الأدعية، علينا أن لا نحو ّ ِلها إلى مجر ّ َد قراءة ٍ ميكانيكية، بل يجب أن نعيشها، أن نطع ّمها بما نريد أن نضعه بين يدي ا∐.

وفي موضوع استجابة الدُّعاء، نرى أنّ بعض الناس يتعقدون، نظراءً إلى أنّهم يدعون ويدعون، ولكن لا يجدون سؤلهم، وهذه نقطة جديرة بالطرح. فصحيح أنّه لا آلية محدّ َدة في مخاطبة ا□، ولا دفتر شروط لشكل الدّ ُعاء ولغته وتوقيته ومناسبته، ولكنّ الشرط الوحيد هو في النية والقصد، فتأشيرة دخول أيّ دعاء ٍ ملكوت ا□ هي النية.

أُ مور تساهم في تحقيق الدُّ عاء

وعلى مَن يريد أن يُستجاب دعاؤه، أن يعي عدّة أُمورٍ تساهم في تحقيق هدف الدُّّعاء _ وهذا ليس وصفةً جاهزةً، لكنِّها محاولة للوصول إلى جوهر الدُّّعاء _.

من هذه الأُ مور التي يجب أن تدخل في قصد الإنسان:

* أن يدعو الإنسان ربّه وهو موقن ُ بالإجابة، فلا يسأل ا□ أن يـُيسّ ِر له فرصة عمل، وفي الوقت نفسه، يرى أن ّ هذه الفرصة مربوطة بقرار ٍ من فلان ٍ من الناس، متناسيا ً أن ّ ا□ فوق ذلك كلّه، وأنّه هو من يهي ّ ِئ الأسباب التي نعلمها والتي لا نعلمها ولا نحتسبها. من هنا، على المرء أن يصف ّي نيته وسريرته بينه وبين نفسه، وليس بالضرورة أن يذكر هذا في ما يتلف ّ َظ به، بل عليه أن يوقن أن ّ ا□ هو المنتهى، وهو القادر على كل ّ ِ شيء. وورد في الحديث: «إذا دعوت فاقبل وظن ّ أن ّ حاجتك بالباب».

* أن يدرك الداعي ويقتنع بأن ّ ا□، كما أنهّ لا يعاجل الناس بالعقوبة لحكمة ٍ منه، فهو قد لا يعاجلهم بالعطاء والنّ ِعمة لحكمة ٍ أيضا ً، وهذا التأخير قد يكون امتحانا ً: «ولعلّ الذي أبطأ َ عنّ ِي هو خير ُ لي لع ِلم ِك َ بعاقبة ِ الأُ مور...».

* أن لا يكون ممّن يشكّ َلون مشكلة ً لغيرهم أو مجتمعهم، ثمّ يأتي ليدعو ويسأل الرزق من ربّه، بل على الإنسان أن يصلح ما بينه وبين الناس أوّلاً، ليصلح ا□ بينه وبينه، ويفتح له الطريق الموصل الى رحمته واستجابته، لهذا كان في الدّ ُعاء أيضاً: «اللّه ُمّ اغفر° لي الذنوب َ التي ت َحب ِسُ الد ُ ّعاء َ»، فالحلّ بيدك، حتى لا تصبح أعمالك سدّااً بينك وبين ا□.

* أن يعرف الداعي ا□ حق ّ َ معرفته، أن يعرفه معرفة ً عميقة ً وليس معرفة ً سطحية ً أو شكلية، لا يمكن أن تكون عابدا ً □ إ ّلا إذا كنت تعرفه، ولا عبادة من دون معرفة، والد ّ ُعاء باب ُ من أبواب معرفة ا□، والتخلّق بأخلاقه. وقد ورد في حديث ٍ عن الإمام الصادق (ع)، وقد سأله قوم: ندعو فلا ي ُستجاب لنا، فقال: «لأنّكم تدعون م َن لا تعرفون».

جوهر الدُّ عاء

وهنا نخلص لنقول إن ّ الد ّ ُعاء عبادة خالصة، ولو لم يكن فيها مصلحة للإنسان، لما فتح ا□ له هذا الباب من أبواب رحمته، لذلك دعانا إلى أن نسأله ونلجأ إليه سبحانه في الشد ّة والرخاء، في الخوف والأمن، وفي الع ُسر والي ُسر، ففي حديث قدسي ّ، يقول رسول ا□ (ص): «عبدي تعر ّف إلي ّ َ في الرخاء أعرفك في الشد ّة». ولا ينبغي لأحد ٍ أن يتوه ّ َم أن ّ الد ّ ُعاء معناه أن تطلب من ا□ سبحانه حاجة ً دنيويَّة يتعسَّرِ الحصول عليها، أو أن تطلب من ا□ أن يساعدك في الخروج من ضيق، أو عسرة أنت فيها... هذا تصوَّرُ يمسخ مفهوم الدَّعُاء، يحجَّرِمه. الدَّعُاء عبادة، علاقة، مناجاة، والعبد لا يتوجَّه إلى ا□ بوصفه سبحانه مكتب خدمات. جوهر الدَّعُاء أنَّه عبادة كباقي العبادات، بل هو مخَّ العبادة، كما ورد في الحديث، لكن من دون طقوسٍ ولا مواقيت. ◄